



### تقلبات أنقرة

يشير عدد من المراقبين المتابعين للصراع على أرض الشام إلى أن سياسة تركيا تجاه الحرب الدائرة منذ ست مفتوحة أمام كل الاحتمالات، فأنقرة كان لها منذ بداية الأزمة مشروعها الخاص لإعادة بناء الإمبراطورية وإدخال سوريا تحت سيطرتها، ولكنها اصطدمت بعدة عوائق. موسكو دخلت الحرب في 30 سبتمبر 2015 وأوقفت تقدم الميليشيات التي كان الدعم الأساسي لها يقدم من أراضي تركيا. أنقرة وبتحريض أمريكي أسقطت طائرة سوخوي 24 روسية يوم 24 نوفمبر 2015 في عملية إمتحان لإرادة الكرملين، رد الفعل كان شديدا مما أجبر أنقرة لاحقا على التقارب مع موسكو لتجنب صدام مباشر خاصة وأن حلف الناتو لم يقف معها ضد موسكو. وفي نفس الوقت وجدت حكومة أنقرة أن تهديدات واشنطن بالتدخل لمنع إنتصار الجيش السوري في حلب

كانت فارغة، وأن المخابرات الأمريكية تكثف مساندتها للأكراد وهو ما يعتبر تهديدا خطيرا لوحدة أراضيها. هكذا أخذت أنقرة تنتقل من موقف إلى ما هو نقيضه تجاه سوريا، محاولة دائما الميل نحو الكفة الراجحة. موسكو أدركت جيدا أسلوب المناورة التركي ولذلك لجأت إلى تكتيك يمزج بين لعبة الإنتظار وتقنية العصا والجزرة تاركة للأحداث ترك تأثيرها على خيارات أنقرة النهائية. حكومة أردوغان دخلت في مواجهة مع واشنطن حول الداعية غولن المتهم بتدبير انقلاب 15 يوليو 2015 الفاشل، ثم مع الإتحاد الأوروبي حول قضايا الهجرة والتأشيرات ومماطلات المفاوضات حول الإنضمام إلى الإتحاد وقضايا أخرى، ولكن رغم ذلك لم تتدخل أنقرة حتى الحين عن عدائها لحكومة دمشق ودعمها لما يسمى جماعات الإسلام السياسي وتحالفاتها مع بعض الأطراف الإقليمية التي تريد إسقاط نظام دمشق. هذا التردد يفسر الضربات المحسوبة التي توجهها موسكو من حين لآخر لتركيا.

الواضح أن كل أطراف الصراع في الساحة السورية تترقب الإستراتيجية العملية للإدارة الأمريكية والتي لا تتناسب دائما مع التصريحات العلنية. أطراف تأمل حصول تغيير قد يفضي إلى تحسين موقعها، سياسيا

وميدانيا، وأطراف تترقب تغييراً ما، تؤكد أنه سيؤول إلى الفشل. في سياق الانتظار، تعمل جميع الأطراف على تحسين مواقعها وأوراقها السياسية والميدانية، لتقلص خيارات واشنطن العملية، بما يتوافق ومصالحها.

ذكر أحد المحللين «لا خطأ في الحديث عن «استدارة» تركية في الساحة السورية، تماماً كما لا خطأ في الحديث عن «ثبات» تركي. مشكلة تحليل «انزياح» أنقرة من عدمها، وهو التعبير الأدق، ينبع من زاوية رؤية الأفعال والمواقف التركية، التي تشي بالشيء ونقيضه.

مهما قيل عن ثبات الموقف أو نصف ثبات، أو استدارة أو نصف استدارة، فلا خطأ. لدى تركيا أهداف في الساحة السورية، ومنها باتجاه الإقليم، وهي أهداف واسعة جداً، تعبر عن المصالح التركية كما يراها صاحب القرار في أنقرة. لكن في سياق العمل على تحقيق هذه المصالح، واجهت تركيا إخفاقات وحقت نجاحات. وجزء من الأهداف بات بحكم المتعذر، ما يفضي إلى انزياح أنقرة عنه، لكن في الأساس يبقى التراجع قسرياً لم يعقبه استسلام.

جزء آخر من الأهداف التركية، ترى أنقرة، وما زالت، أن لديها من الإمكانيات وباستطاعتها، تحقيقه. من هنا يأتي الثبات.

أنقرة، وإن تراجعت عن هدف إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد لتعذر القدرة على تحقيق هذا الهدف، لكنها تأمل، رغم ذلك، وهي تسعى أيضاً، كي تحقق ما يمكن من أهداف أخرى بوسائل أخرى. رغم القصور في إسقاط الأسد، فهل يكتب لها النجاح أو الفشل في ظل معاناة جزء من أعدائها وخصومها، ومداورة جزء آخر؟

السؤال قد لا يكشف عن إجاباته إلا مع مرور الوقت، وفي انتظار الآتي. أنقرة لديها أوراق ضغط وأوراق مساومة، في موازنة الضعف، وهي على نقيض الدول الخليجية، لا تنكسر بالكسار المسلحين. وتركيا لم تتراجع، أساساً، عن جزء من أهدافها بناء على استسلامها، بل عن قصور يد، دون قطع هذه اليد.

جزء من أعدائها وخصومها روسيا أساساً، يرى أن تراجعها الظاهر هو واقع، من شأنه وبإمكانه أن يبني عليه لجذب أنقرة، مع إمكان تأمين جزء من مصالحها، بينما ترى هي أن هذا الموقف لروسيا بالإمكان البناء عليه، كي تزيد من مساحة المصالح التي تريد تحقيقها في سوريا.

مع ذلك، التموضع الأمريكي المقبل، الذي لا تنتظره تركيا وحسب، بل الآخرون أيضاً، قد لا يكون كما يحكى ويؤمل منه. هو تموضع أمريكي قد لا يكون محصوراً، من ناحية منطقية، ما بين الاستسلام المجاني لموسكو، أو إعادة استئناف مقاربة الإدارة السابقة في مناكفة الروس وحلفائهم بلا طائل. نعم، من الصعب أن تتمسك الإدارة الأمريكية تحت رئاسة ترامب بالسياسة السابقة، ابتداءً، نتيجة فشل هذه السياسة في تحقيق أهدافها. لكن أيضاً لا يمكن التصور رغم كل الإشارات والأمال، أن إدارة الرئيس دونالد ترامب سترضى بالتخلي عن هذه الساحة للروس، دون أثمان. في نهاية المطاف، المصالح الأمريكية في سوريا، ومنها باتجاه الإقليم، محددة وواضحة، تماماً كما كانت تراها إدارة الرئيس باراك أوباما، وفشل استراتيجية تحقيقها، يعني تغيير هذه الاستراتيجية، لا تغيير المصالح.

نتيجة ذلك، إحدى الاستراتيجيات المقدرة لإدارة ترامب، الأكثر معقولة، قد تأتي مركبة في محاولة لإرضاء روسيا على حساب حلفاء الروس، وهي

استراتيجية قد تحمل قدراً من التراجع أمام الروس، لكن يؤمل منها أمريكياً أن تحقق مصالح واشنطن على مستوى المنطقة، إلا أن عيبها أنها تضع روسيا أمام خيارات غير سهلة مع حلفائها، قد لا تكون قادرة على تأمينها. وفي حال قصور الروس أو عدم إرادتهم، أو الاتجاهين معا، بالنسبة إلى دفع الثمن الذي يريده الأمريكيون، سيعني ذلك عودة واشنطن الجديدة إلى التموضع في المربع الأول، لواشنطن القديمة، وعودة الحديث الميداني، من جديد.